شيراز

نافذة على الأدب الأيراني

تصدر عن مركز
الفكر والفن الأسلامي
المشرف العام : حسن بنيانيان

العدد السابع / ربيع ٢٠٠٧

نافذة: حرائق المتنبي ٢

العالم زاخر بالحوارات / حوارمع الشاعر الكبير علي معلم ٤

دراسات

الأدب القصصي في إيران/ د. يعقوب آجند/ترجمة حيدر نجف ١٨

شعر

عمران صلاحي/ترجمة موسى بيدج ٣٤

كلاهي أهري/ ترجمة موسى بيدج ٤٠

مجيد زماني/ ترجمة حمزة كوتي ٤٦

صادق رحماني/ ترجمة محمد الأمين ٥٤

قصص

رسالة الى عائلة سعد / حبيب أحمد زاده/ ترجمة نظيرة شمائلي فرد ٦٠

السيد بي/ مصطفى خرامان/ ترجمة جمال كاظم ٧٠

لعبة الزفاف / بلقيس سليماني/ ترجمة جمال كاظم ٨٠

القربان / محمد رضا بايرامي/ ترجمة جمال كاظم ٩٠

ضياع إنسانٍ عادي/ ظاهره علوي/ ترجمة سمير أرشدي ١٠٤

نشاطات ثقافية ١١٤

إصدارات جديدة ١١٨

زيارة ١٢٠

رئيس التحرير: موسى بيدج
المدير الفني والرسوم : باسم الرسام

لجنة الترجمة: جمال كاظم، حيدر نجف ، سمير أرشدي ، صادق خورشا

سعر النسخة : ١٢٠٠٠ ريال أيراني

المراسلات: طهران - شارع حافظ - تقاطع سمية - مركز الفكر والفن الأسلامي - مكتب مجلة شيراز
طهران - ص.ب : ٥١٨٥١/٧٧٦١ - تلفاكس : ٣٤٥٥٩٨٨٨

حبيب احمد زاده
H.Ahmadzadeh

رسالة الى عائلة سعد

ترجمة: نظيرة شمائلي فرد

ولد عام ١٩٦٤ في مدينة عبادان لعائلة تنحدر اصولها من عشائر دلوار في منطقة بوشهر. حصل على الماجستير في الادب المسرحي. يكتب القصة و السيناريو. طبعت له مجموعة قصصية تحت عنوان قصص المدينة الحربية و قد تكررت طباعتها سبع مرات و في ٤٠ الف نسخة. كما طبعت له رواية بعنوان: لعبُ الشطرنج مع ماكنة القيامة. و له كتاب آخر بعنوان حوار مع الظِل، يدور حول حياة الكاتب الشهير صادق هدايت و قد أُخرج على شكل فيلم سينمايي.

يرجى ممن يعثر على هذه الرسالة أن يقوم بواجبه الانساني و يوصلها بأية وسيلة كانت لعائلة سعد عبد الجبار، من منتسبي اللواء ٢٣ من القوات الخاصة بحرس رئاسة الجمهورية العراقية، التابعة للوحدات العاملة تحت قيادة الفرقة الثالثة المرابطة في قاطع البصرة.

بسم الله الرحمن الرحيم

عائلة الجندي المكلف سعد الموقرة:

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته... و بعد

لا ادري إن كانت كتابة هذه الرسالة و ارسالها لكم في مثل هذه الظروف عملاً صائباً ام لا، ولكن، علي ايّ حال، تراءى لي بأنه من الضروري ان أكتبها و أسلمها لابنكم حتى تصل لكم بهذه الصورة الغريبة، و الآن حيث مضى على الحادث أكثر من أحد عشر عاماً أريد أن أحدثكم عن كيفية تعرفي الغامض على إبنكم في لقاء مكتظ بالاسرار، في هذه الاثناء، اشعر بدافع قوي لكتابة تفاصيل حادثة تعرفي عليه و ملابساتها، و ذلك من اجل إزالة الشكوك التي قد تراودكم بشأن تورطي في هذه الحادثة المؤلمة.

و الآن ابنكم سعد الى جواري، لعله ينتظر ختام هذه الرسالة ليحمل الحقائق لكم بنفسه. هذه اللحظات، هي الثواني الاخيرة للقائنا، و بالتأكيد سيكون آخر وداع بيننا، و الآن من الافضل أن أختصر الكلام، و أصل الى صلب الموضوع.

بدأ الحادث قبل حوالي أحد عشر عاما. و بالضبط كان ذلك في صباح الثامن و العشرين من شهر ديسمبر عام ١٩٨١م. و هو اليوم الذي رأيت فيه ابنكم لاول مرة. كنت عائداً من شاطئ نهر الكارون متوجها الى القواطع الخلفية. كنا قد انتهينا من تنفيذ عملية كبيرة في هذه المنطقة في الليلة الماضية، الغاية منها فك الحصار عن مدينتنا. قاتلنا حتى الصباح حيث وصلنا الى ضفة النهر. بعد عام من محاصرة المدينة كانت هذه هي المرة الاولى التي تتمكن فيها قواتنا من استعادة هذه المنطقة. انا ايضاً، و بسبب سروري لانتصارنا عملية مصيرية كهذه، رغبت في التقاط صورة تذكارية تدل على مشاركتي في هذه العمليات. حيث كنت قد أحضرت معي آلة تصوير متواضعة لم تسمح لي شدة الاشتباكات بالتقاط صورة قبلها قط.

حتى هذه اللحظة، لم يحدث أي شيء غريب خارج الحسبان و كانت الامور تجري على

مسارها ككلّ عملية عسكرية أخرى. حيث كانت القوات المنهمكة تنسحب و تستقر مكانها قوات جديدة عن طريق الممر السابق، الا انني إستحوذت على ذهني رغبة للتجول في المناطق المحررة و التطلع على مدى المصائب التي لحقت بها. و من اجل تفادي المنطقة المزروعة بالالغام

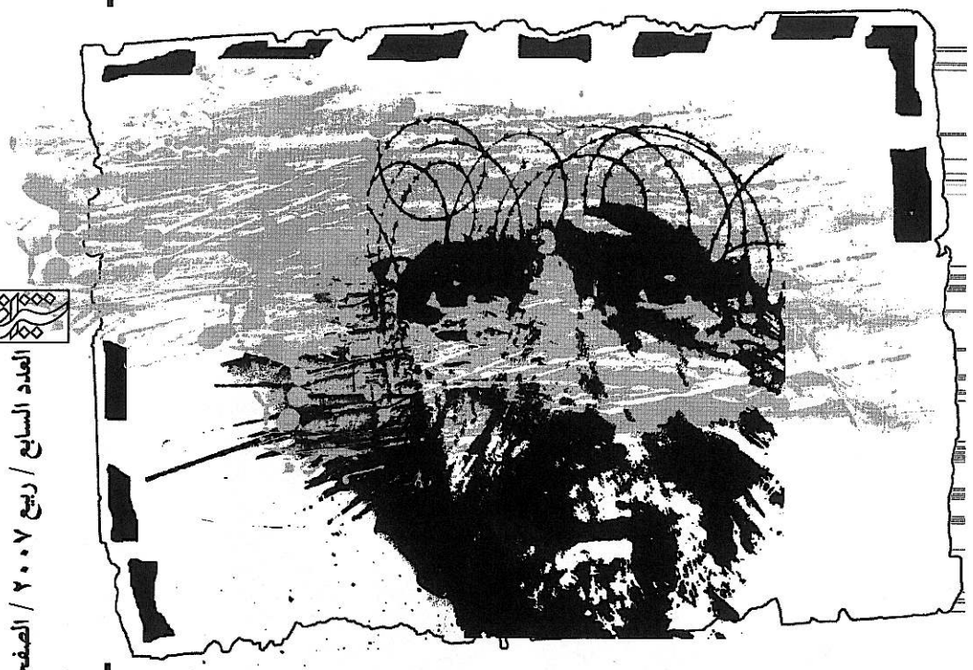

إضطررت للدوران و الابتعاد قليلاً فواجهت طريقاً رملياً كان الجيش العراقي قد استحدثه من اجل الوصول الى الطريق المعبّد. تقدمت على الشارع الرملي الى أن وصلت الى مفترق طرق، حيث كان يمتد أمامي الآن طريق تمنيت طيلة عامٍ بأكمله لو يتسنى لقدمي كي تطأه حينما أتوجه الى قضاء عطلتي.

حتى ذلك الحين، لم يكن الطريق مطهراً من الالغام و الفخاخ المتفجرة و الاسلاك الشائكة، الا أنني كنت أعتبره منذ ذلك الحين محرراً و خالياً من الخطورة.

عندما وضعت قدمي على الطريق، اذكر بالضبط بأن الشمس كانت قد بدأت بالشروق لتوها، فأخذت بالصياح و الضجيج من فرحتي غير آبه بما يحيطني، قفزت شوقاً و بندقيتي بيدي، كنت مسروراً جداً، و كان عمري آنذاك ستة عشر عاماً، أي أن إبنكم كان يكبرني في ذلك الوقت

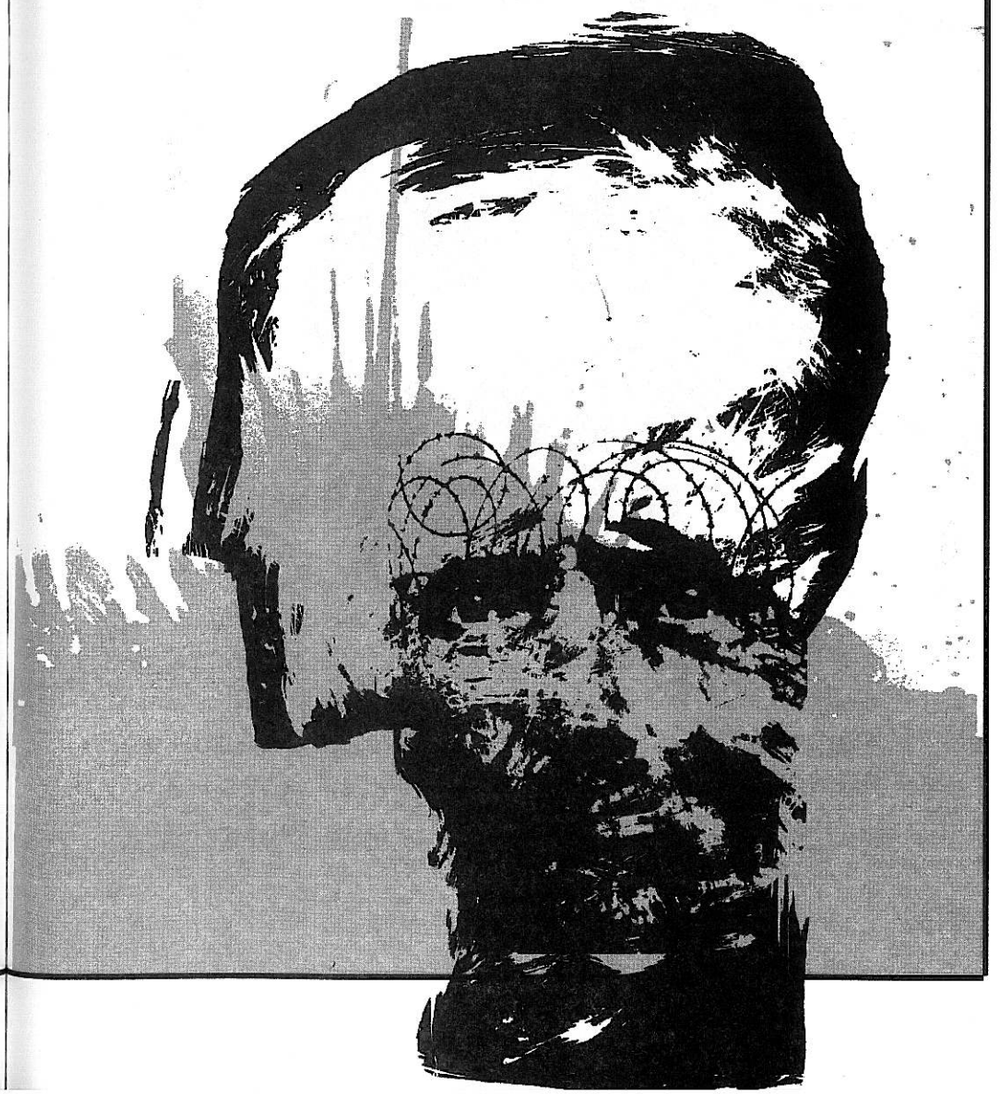

بحوالي عامين.

هنا، بدأت الحادثة الاساسية، لا ادري ماذا حدث! لكني التفت عن طريق الصدفة الى الخلف للحظة، و فجأة إمتلكني الذهول و بلمحة بصر إنبطحت ارضاً كرد فعل دفاعي، يجب أن أعترف بأني شعرت بخوف كبير، ففي كل فترة تواجدي على الطريق المعبد كان هناك جندي عراقي محملقاً بي من الخلف و هو جالس، و انا لم اكن منتبهاً لوجوده ابداً.

قفزت بسرعة لاتصدق الى خلف متاريس الطريق، و صوبت أسلحتي نحوه، كنت منشغلاً بهذه الفكرة بالذات مهّدت للتخفيف عني و ارتياحي نوعاً ما اذ لابد انه قد بقي وحيداً فريداً في المنطقة المحررة، و ينوي تسليم نفسه.

شجعتني مجموعة هذه الافكار لكي أهجم عليه من الخلف، مكثت للحظة، ثم ركضت من وراء السد الترابي باتجاهه، و أردت ان اقول باللغة الفارسية «ارفع يديك!» بالطبع، الآن و أنتم تقرأون هذه الرسالة توضح لكم كل شيء الى حد ما.

نعم، لقد واجهت جثة إبنكم، الذي كان قد أجلس ارضاً على ركبيته، و ربطت رقبته و معصماه من الخلف بأسلاك هاتف ميداني الى لوحة مفترق الطريق، و الدم قد سال من تحت رجليه كجدول صغير.

في هذه اللحظة إرتخت بندقيتي في يدي و هدأت قليلاً فاقتربت أكثر منه و إنتبهت الى أن من ربطه او ربطوه شدوا وثاقه بقوة حيث أدمت الاسلاك معصميه و رقبته بشكل واضح جداً و ملفت للنظر، و عندما افقت من دهشة الحادث سمعت لتوي دوي انفجار القنابل و مدافع الهاون التي كانت تقترب في كل لحظة باتجاهنا.

رمقت وجهه البرئ بنظرة، كانت عيناه مفتوحتين تماماً و مشدوهتين لا ادري لماذا ولكني رغبت ان التقط صورة لوجهه، و التقطتها، لعلها كانت من باب الاستفادة من آلة التصوير لاغير. عندما وضعت جهاز التصوير في حقيبة ظهري، كانت أصوات الانفجارات قد ارتفعت أكثر، بالاضافة الى عواء الكلاب التائهة التي كنا نسمع أصواتها كل ليلة قبل بدء العمليات من خلف خطوط البعثيين. و بوجود هذه الكلاب السائبة الجائعة ليلاً كان واضحاً ما سيحل بجثة إبنكم.

نظرت الى عينيه المفتوحتين، و قلت له من أجل الخلاص من تأنيب الضمير «اعرف، ولكن والله لو كان لدي مسحاة، لكنت قد دفنتك بالتأكيد». بالضبط، كأي شخص آخر لا يريد انجاز

عمل ما بأبداء حجة كبيرة.

ثم واصلت طريقي كي ابتعد عن الانفجارات التي كانت تزداد كل لحظة، ماذا اقول؟ لم أكن قد ابتعدت لمسافة مائة متر، حتى وقع نظري على مسحاة كبيرة كانت قد إنزرعت الى المقبض جنب متراس نصف مبني على سد تراب. وقفت للحظة، كنت مترددا جداً، لكن لم يكن باليد حيلة، فلقد كنت قد أقسمت قسماً لا يمكن الرجوع عنه، رفعت المسحاة بانزعاج كبير و توجهت نحو إبنكم. أريته المسحاة و قلت: «و هذه هي المسحاة» و بدأت بالحفر امام أقدامه، قريب الى تلك الدرجة التي انساب الدم بعد لحظات الى داخل القبر، و كنت خلال إنهماكي بالحفر و مع حركة المسحاة أتنقل بنظري بين ابنكم و جدول الدم محاذراً منه كي لا يمس كف حذائي العسكري و يدميه، و في نفس الوقت كنت أتحدث مع نفسي و مع إبنكم، و لا يمكنني تكرار ما ورد في أحاديثي تلك لكم و ذلك من اجل عدم اطالة الرسالة، و لأن الموضوع بدون أدنى شك سوف لن يثير إهتمامكم.

باختصار، كان العمل على وشك الانتهاء، و كنت منشغلاً في نفسي أتساءل هل أصبت إتجاه القبلة في اول قبر حفرته في عمري؟ و فجأة و بدويّ انفجار هائل وجدت نفسي ممدداً في حفرة القبر و ابنكم سعد قد أصبح غطاءً لي، أعترف بأني شعرت بخوف لا يوصف، فقد كنت في نقطة بعيدة عن قواتنا و خالية، و في داخل قبر، وٌ مع جثة وجهاً لوجه، دفعت سعداً بصعوبة كبيرة و نحيته جانباً، كان انفجار قذيفة مدفع خلف ظهر ابنكم قد تسبب بسقوطناعلى تلك الحالة. عندها أمعنت النظر فيه فاذا بخيوط دماء إرتسمت على معطفه تواً تدل على إصابته بعدة شظايا جديدة، و كان قد أصبح حاجزاً بين الانفجار و بيني، و الافضل أن أقول بين الموت و بيني.

هنا، ازداد تعاطفي مع ابنكم اكثر من ذي قبل، أنهيت الحفر بسرعة و تأهبت كي أضعه في قبره، فتراءى لي بأنه من الافضل ان أجرده من معطفه العسكري و أغطي رأسه به كي يمنع التراب عن وجهه، فانهمكت بهذا العمل فلاحظت شيئاً بين اسنانه فاذا بها قشور لأربع رصاصات عبثت في فمه، لكن لم يعد التعلل جائزاً، لففت المعطف حول رأسه، فتشت جيوبه فعثرت على هويته الشخصية و رسالة كان قد كتبها لكم و لم أعثر على شيء آخر، حررت يديه من الاسلاك، و بدأت بالقاء التراب عليه، و في تلك اللحظة شعرت بأن هذا الانسان الغريب سيرقد بعيداً عن عائلته في قبرمهجور سوف لن يقرأ أحد الفاتحة عليه أبداً، ولكن، حتى انا، لم يكن يتوقع مني ان أقوم له

بشيء أكثر من مواراته الثرى.

على ايّ حال، نصبت اللوحة المكسورة على قبره ثم ابتعدت عن المكان بسرعة، فيما بعد، و في اول استراحة لي خلف الجبهة، طبعت صورته، و وضعتها في البومي الخاص، و كلما تصفحت الالبوم و عند وصولي الى صورته اسميه «الميت الذي انقذ حياتي و انا انقذت جثته». و على الرغم من اني قرأت اسمه في هويته الشخصية الا اني كنت أشير اليه باعتباره جندياً عراقياً فقط. مرت اعوام طوال على تلك الحادثة، و كانت الحادثة برمتها قد تبدلت شيئاً فشيئاً الى ذكرى فقط، الى ان تعرفت عن طريق الصدفة على اخوة مهمّتهم هي تبادل جثث القتلى العسكريين العراقيين مع جثث شهدائنا، و كان يتم إستبدال جثة بجثة عند الحدود، تحدثت لهم بموضوع سعد، و تقرر ان اقوم اليوم بإطلاعهم على محل دفنه.

عندما وصلنا الى الموقع في الوقت المقرر، كنت أعلم مسبقاًبأنه يجب ان لا أتوقع بقاء اللوحة على القبر، الّا ان مفترق الطريق كان باستطاعته ان يكون معيناً. و بعد الحفر مرتين أخرجنا ابنكم من تحت التراب، و من المحتمل انه سيكون على هذا الوضع الذي ستشاهدونه حين وصول هذه الرسالة اليكم. الاّ أن أهم نقطة دعتني الى الكتابة، لم تكن في الحقيقة أيّ من هذه المواضيع، إنما كان السر الذي اكتشفناه حين إخراج ابنكم من القبر.

عندما إنتزع الاخوة بقايا المعطف الملفوف حول رأس سعد، القوا عليّ نظرة ذات مغزى و قالوا «هارب آخر!» سألتهم ما معنى هذا الكلام؟ فأشاروا الى أمثلة من تجاربهم في العثور على الجثث و قالوا ان الخراطيش الاربعة بين الاسنان المقفلة تدل على رمي الشخص بالرصاص بسبب هروبه، و هم كانوا يضعون القشور على تلك الحالة عقب اعدامه كي يتعظ الآخرون، فشرحت لهم حالة جلوسه فقالوا «لابد انهم أطلقوا الرصاص على ركبتيه قبل إعدامه». و بنظرة القيتها على العظام المكسورة لركبة سعد إنكشفت لي حقيقة أخفته عنى ملابسه و لحمه لفترة أحد عشر عاماً.

أعلم ان هذه الحقائق مُرّة و مزعجة للغاية! و خاصة و إنها تخص نجلكم، الاّ أن معنوياتي انا الآخر ليست بأفضل من حالكم، ففي فترة الأحد عشر عاماً هذه، سافرت مراراً خارج مدينتي و هذا المفترق حرم روح ابنكم حتى من قراءة الفاتحة، الأمر الذي أتمنى لو يسامحني الله سبحانه

و تعالى عليه.

و من أجل كتابة هذه الرسالة، و لأني لم أكن متهيئاً من قبل لذلك إستخدمت إستمارات تسجيل مواصفات الجثث، و كتبت على ظهرها، و لو كنت تنبأت بأني سأكتب لكم لكنت بدون شك قد أحضرت الرسالة و الصورة التي التقطتها لجثة ابنكم في اللحظات الاخيرة و ارفقتها بهذه الاوراق، و قد يكون رأي احد الاخوة صائباً حيث يقول بأن من الافضل دفن الحقيقة هنا، و أن لا اكون سبباً لاثارة مشاكل و إزعاج أكثر لكم، و لعل وقوع هذه الرسالة بيد الغير يؤدي الى عدم تسليم جثة سعد لكم، و كما تلاحظون فقد لجأت الى هذه الطريقة غير المألوفة من أجل إرسالها حتى تقل نسبة الخطر الى ادنى المستويات.

ها أنا اكتب عنواني في هامش الرسالة حتى تتصلوا بي بأية طريقة ترتأونها كي أرسل لكم صورة و رسالة سعد الاخيرة. لا ادري ما رأيكم بإخفاء الرسالة في العظم المكسور لابنكم. الرسالة التي قد لا يلاحظها أصحابها الحقيقيون لطريقة إخفائها هذه، و الرسالة و سعد يدفنان معاً. و لا تصل الحقيقة لكم ابداً ايتها العائلة الموقرة.

لا زلت في صراع مع نفسي بسبب كتابتي لهذه الرسالة، ولكن في هذه الجملات الاخيرة فحسب، أتمكن من القول مرة أخرى بأنه لو ان مثل هذا الحدث وقع لي قبل عشرة اعوام لما بادرت كتابة الرسالة ابداً، اما الآن لدي انا الآخر طفل و بإمكاني أن أدرك بأن من حق اية عائلة ان تطلع على الدقائق الاخيرة من عمر إبنها.

تقترب لحظات وداعي الاخيرة مع ابنكم سعد، و أعلم بأني من الآن فصاعداً كلما عبرت من هذا الطريق سأمعن النظر بتلك النقطة و سيغمر قلبي حزن ثقيل من جراء لقاء طال أحد عشر عاماً مع غريب تعرفت عليه قبل عدة ساعات من وداعي له فقط.

و الآن ارتفعت أصوات الاخوة إحتجاجاً لاطالتي بالكتابة، و أخيراً أترككم و سعداً في أمان الله الذي هداني في ذلك اليوم الى تغيير مسيري و اللقاء بسعد و من ثم العثور على المسحاة، و من بعدها إكتشاف سر الاعوام الأحد عشر، على أي حال قد يوصل الله نفسه هذه الرسالة لكم أيضاً.